اكلة الناس في جزائر هبريد الجديدة

جزائر هبريد الجديدة من جزائر ملقا في غربي الاوقيانوس الباسيفيكي صخرية بركانية شديدة الخصب يكثر فيها ثمر الخبز وجوز الهند والموز والساغو وقصب السكر وجوز الطيب ونحو ذلك من اشجار المطقة الحارة وفي بحارها السمك وصدف اللؤلؤ والسلاحف . مساحتها ٥٣٠٠ ميل مربع وعدد سكانها ٧٥ الفاً اكثرهم عبدة اصنام ولا يزال اكل لحوم الناس شائعاً عندهم

زارت سيدة اوربية هذه الجزائر منذ عهد قريب ووصفتها في مجلة وندزور الانكليزية فاقتطفنا منها السطور التالية قالت

ان اهالي ملكولا احدى هذه الجزائر من اكلة لحوم الناس شهروا الحرب على الانكليز قبل وصولي الى جزيرتهم باسابيع قليلة ونزلوا الى الساحل يبادقهم وجعلوا يطلقونها حيث تمر الباخرة الآتية من سدني لكن جاءتهم سفينتان حربيتان احداها فرنسوية والاخرى انكليزية واستأصلتا الداء قبل استفحاله

واهالي هذه الجزيرة مخونة يخشى شرهم ولا يرجى خيرهم يأكلون لحوم الناس ولكنهم لا يوقعون بالبيض بغير سبب صحيحاً كان او وهمياً . وقد يضيفون زائرهم ويرحبون بقدومه لصوص قتلة ولا يقتلون البيض الا اذا اتفق ووقعت بهم مصيبة فيوجسون منهم شراً ويقومون عليهم كالمجانين ويوقعون بهم واما قتل بعضهم بعضاً فشائع بينهم

ولا يزال كثير من هذه الجزائر مجاهل لم تطأها اقدام البيض ولا سيما جزيرة ملكولا وهي ثانية هذه الجزائر اتساعاً واشدها اهوالاً ولا يعرف منها الا ساحلها وجزء من قسمها الجنوبي . وفي وسطها حرجة كثيفة طولها سبعون ميلاً وعرضها ثلاثون يسكنها المتوحشون واكثرهم لم يروا الساحل ولا رأوا وجه انسان ابيض ولا يمكن السير في بلادهم من غير دليل ولا بد من ان يكون مع السائر جنود مسلحون يحمونه لان الاهالي على جانب عظيم من الغدر واسلحتهم البنادق والسهام المسمومة ويطرحون في الارض امنة سهام مسمومة حتى تنشب في ارجل المارة وتسمهم وحول قراهم طرق مشعبة تضل السائر فيها ولا امهل عليهم من رمي كل من يعتدي على حماهم بالرصاص

وجزيرة سنتو اكبر من جزيرة ملكولا وهي اول جزيرة رآها الاوربيون وكان ذلك سنة

٦٠٥ وفي جبلية يعلو عن سطح البحر ٥٠٠٠ قدم وفيها حراج كثيفة واودية عميقة . والذي كشفها اولاً جاءها من بيرو وظن انها قارّة جنوبيّة فسماها استراليا دل اسبيرتو سنتو اي بلاد الروح القدس الجنوبيّة . ونزل في مرفإ امين سماه فرا كروز اي الصليب الحقيقي وسمّى النهر الذي يصبّ فيه بالاردن وشرع في بناء مدينة على ضفته سماها اورشليم الجديدة ولكن الحمّى وعدوان الاهالي طردا النزلاء قبلما اتموا بناء المدينة فعادوا الى اميركا الجنوبيّة . وزار كوك الشهير هذه الجزائر سنة ١٧٧٤ وسماها هبريد الجديدة

واسم عاصمة هذه الجزائر الآن ڤيلا وهي في جزيرة افات وعلى نحو اسبوع من مدينة سدني باستراليا بالسفن التجارية . ومرقبها من اجمل المواقع ماء مرفإها فيروزي مشوب بحمرة قاتمة يحفّ بها من جهات البر الثلاث آكام تغطيها الاكمام والاشجار كأنها زمرد مبثوث حولها . اكثر سكانها من الفرنسويين وفيها شارع واسع هو شارع التجار ولكن بيوتها قليلة حقيرة كأنها طفلة ضلّت من امها بين الحراج . وجزيرة افات نفسها اكثر جزائر الهبريد تمدّناً لان اهاليها متنصرون اكثرهم واراضيها في ملك الاجانب من الفرنسويين والانكليز وهم يزرعون فيها الشاي والذرة وليس في الدنيا مكان يستحقّ اهاليه للحرمات مثل هذه المدينة ومع ذلك يعيشون على سلام بعضهم مع بعض . وفيها مأموران احدهما انكليزي والآخر فرنسوي لكن سلطتهما محدودة او لا يستطيعان شيئاً . والحرّ هناك شديد يضعف الجسم ويزهق النفوس ويعد بالحميات وبني يوعدهم . ولا يستطيع احد الانتقال من مكان الى آخر الاّ بحراً واذا اراد السفر برّاً اضطرّ ان يجتاز بين الادغال واذا كان من رجال الحكومة واجيد نفسهُ فجزاؤهُ اللوم والتوبيخ ولذلك يعيش المأموران بالمسالمة ويتضايقان حينما يجدان طعاماً يستحق ان تولم منهُ وليمة ويقضيان بقية الوقت في النزهة وصيد السمك وهذا كل ما تطلبهُ حكومتاهما منهما

ويراد الآن انشاء محاكم يحاكم بها البيض اذا خالفوا وصيّة من الوصايا العشر او اعتدوا على قانون من قوانين بلادهم مما يضرّ بجيرانهم . ولما زرت تلك الجزائر لم يكن فيها شيء من ذلك ولا ما توفى بهِ الاموال والاعراض بل كان الحق للقوة ومع ذلك كان الناس عائشين كما يعيش غيرهم من النزلاء في غيرها من البلدان فلا يقتل بعضهم بعضاً مع انهم يختصمون احياناً لاسباب تدعو الى الخصام في كل الدنيا ويقال انهم قد يقتلون العمّال في المزارع البعيدة في ساعة الغيظ لان الحرّ الشديد يذيب الآداب على ما يظهر

لما وقع نظري على الاهالي البرابرة لم اوجس منهم شرًّا لانني لم احسب انهم يقدمون على اكل احد في شارع المدينة او على ساحل البحر جهراً اي من السفن التجارية ولم اخشَ اسلحتهم

لانها جزء من ثيابهم يحملونها قياماً وقعوداً وتبقى معهم وهم نيام . ولا سبيل لجعلهم يتخلون عنها ما دام التجار الانكليز والفرنسويون يأتونهم بها وبالرصاص والبارود . وحملهم لبنادقهم دائماً وهي محشوة لا يخلو من الخطر ولو عرضاً . ثم انهم قد اعتادوا سيد السمك بالديناميت وهذا ايضاً لا يخلو من الخطر على الارواح

واقمت برهة وجيزة في ڤيلا ولقيت فيها من حسن الضيافة ما لا انساه ثم انتقلت الى مزرعة من مزارع الشاي تبعد عنها ثلاثين ميلاً وشاهدت من المناظر البديعة في طريقي ما لعجز عن وصفه قلم الكاتب فاترك وصفه لقلم المصور لان تلك الجزائر اجمل جزائر البحر الجنوبي

والمعيشة في مزارع الشاي في حد الشظف فان العمال كلهم من البرابرة أكلة لحوم الناس يؤتى بهم من الجزائر الشمالية ويعطى الواحد منهم جنيهين في السنة وطعامه . ومدة استخدامهم ثلاث سنوات ولكنهم قلما يقضونها كلها بل يهربون بعد ما يرون مشقة الاستمرار على العمل والغالب انهم يأتون اولاً من تلقاء انفسهم هرباً من ثأر يطالبون به

ويجد اصحاب هذه المزارع من المشقة في استخدام العمال ما يجده غيرهم في سائر البلدان الحارة وكثيراً ما يقوم العمال عليهم ويقتلونهم ولذلك تراهم على تمام الحذر دائماً وكثيراً ما يتغير الواحد منهم كل ليلة لكي لا يهتدي اولئك البرابرة اليه فيغتالوه فيه ويأكلوه . ولا يخلو بيت من البنادق وهي محشوة دائماً احتياطاً . ولا يبرأ النزلاء من الاساءة الى الوطنيين لانه يصعب على المرء ان يعامل البرابرة أكلة لحوم الناس باللين والرفق

وبين هذه الجزائر جيد جداً وصوفه رابحة سيما انكلترا وكذلك تارجيلها المجفف فانه يستعمل في طبخ الصابون . وشجر التارجيل كثير فيها وهو كثير الثمر فتغل الشجرة منه مضاعف ما تغله في بلاد اخرى ولكن الاهالي لا يبيعون اشجارهم ولا يؤجرونها

وتاريخ هذه الجزائر غامض جداً فقد رأيت في جزيرة سوباي منها اناساً من سكانها الاصليين يشبهون اليهود في سحنتهم وغيرهم مثل زنوج غربي افريقية وغيرهم كالقرود سحنة وغيرهم لا مثيل لهم بل هم نسيج وحدهم . وسحنتهم يتكلمون ثلاث لغات مختلفة والذين يتكلمون اللغة الواحدة لا يفهمون غيرها ويقال ان في الجزيرة سبع لغات اخرى واهل كل لغة لا يفهمون غيرها . واكواخهم في حد الحقارة لا تزيد على مظلات من القش قائمة على اعواد من القنا الهندي ولكن هياكلهم كبيرة لما كوّى عالية وعندهم طقوس ورموز تشبه ما عند اليهود وهم يحنطون موتاهم مثل المصريين القدماء وكلهم من أكلة لحوم الناس ويعبدون الصقر ويكرمون الخنزير اكراماً يقرب من العبادة ويضعون اجساد امواتهم المحنطة في هياكلهم ولا يبيحون

دخولها لاحد ولا سيما للنساء ولذلك تعذَّر عليَّ دخولها في اول الامر ولكنني وجدت هيكلاً لا يحرسهُ الاَّ بعض النساء الجزائر وكنَّ جالسات امامهُ عاقلات فناظرتهنَّ ودخلتهُ فرأيت فيهِ كثيرًا من الاجساد المحنطة موضوعة على رفوف مدهونة بالدهان الاحمر والازرق ومن الجماجم ووجوهها مغطاة باغطية منسوجة ومدهونة بدهان احمر ومن الرماح والمطارق معلقة فوق جدرانهِ . ثم خرجت منهُ من غير ان يراني احد وسافرت من الجزيرة ذلك اليوم . ثم بلغني ان الاهالي دروا بانتهاكي حرمة هيكلهم فانقاظوا جدًّا

ومما شاهدتهُ في هذه الجزائر ولم يشاهدهُ احد قبلي حصن في قلب احدى الحراج حيث يُقتل الناس ويؤكلون فان الدليل قال لي اننا اذا قصدناهُ ولا سلاح معنا لم يهتم الاهالي بنا لانهم لا يوجسون شرًّا ممن لا سلاح معهُ ولا سيما اذا كان امرأة فلما وصلنا اليهِ كان الاهالي قد شرعوا في الرقص وهم كالشياطين يثبون ويطفرون على اشكال سريعة وبنادقهم في ايديهم وفي وسط حلقتهم طبول في شكل الاصنام كان المغنون منهم يقرعونها فتصوت اصواتًا مزعجة تصمُّ الآذان ورئيسهم في شكل صقر يطفر وينقضُّ على فريستهِ وآخر حمل خنزيرًا حيًّا على كتفيهِ وجعل يرقص بهِ

وزرت مرةً اخرى مكانًا أُولمت فيهِ وليمة من ولائمهم البشرية وعدت منها بعظم فخذ فحفظتهُ تذكارًا . وصعدت الى قمة البركان الثائر الذي رآهُ الربان كوك حينما زار هذه الجزائر سنة ١٧٧٤ ولم يزل يقذف النيران من جوفهِ نهارًا وليلاً من ذلك العهد الى الآن . وغادرت هذه الجزائر وانا على يقين انها اغنى واثمن مما يظن وان الدولتين العظيمتين انكلترا وفرنسا تحسنان صنعًا اذا اتفقتا عليها باسرع ما يمكن . انتهى

وقد اوضحت الكاتبة مقالتها بثماني عشرة صورة فوتوغرافية الاولى صورة النزول الى البر فترى شاطئ البحر وهو مثل بستان ملتف الاشجار والسكان البرابرة واقفين عليهِ عراة والثانية صورة ابنة من بناتهم ساعدة على شجرة من شجر الناريجيل كأنها حلزونة تصعد على ساق سنبلة والثالثة صورة فتاة اخرى ومعها ثمرة من شجر الخبز والرابعة صورة اصنامهم وهي من اقبح ما صنعهُ البشر منظرًا والخامسة صورة رقصهم بالبنادق وهلمَّ جرًّا . ويظهر من صورهم انهم ممتلئو الابدان مجدولو العضل لا يلبسون الاَّ ثيابًا ومنطقة الخرطوش اذا لم يكونوا في خدمة الاوربيين واما الذين هم في خدمة الاوربيين فيلبسون ثيابًا تكسوهم ولا ندري أسعدهم ام نحسهم دخل الاوربيون بلادهم واتاهوا فيها